الصبر أفضل الجهاد!!

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله[1] : الصبر هو الجهاد ، بل أفضل منه وأكمل من ثلاثة أوجه :

١ـ الصبر على المحرمات أفضل من الصبر على المصائب .

٢ـ إن ترك المحرمات مع القدرة عليها ، وطلب النفس لها أفضل من تركها من دون ذلك .

٣ـ إن طلب النفس لها إذا كان بسبب أمر ديني ـ كمن خرج لصلاة ، أو طلب علم ، أو جهاد فابتُلي بما يميل إليه من ذلك ـ فإن صبره عن ذلك يتضمَّن فعل المأمور وترك المحظور ، بخلاف ما إذا مالت نفسه إلى ذلك في عمل صالح .

ثم إن الله تعالى أمر نبيَّه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالهجر الجميل ، والصفح الجميل ، والصبر الجميل .

ـ فالهجر الجميل : هجر بلا أذى .

ـ والصفح الجميل : صفح بلا عتاب .

ـ والصبر الجميل : صبر بلا شكوى .

لذا قال سيدنا يعقوب عليه السلام كما ورد في القرآن الكريم :

﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف : ٨٦] .

مع قوله :

﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف : ١٨] .

---

(١) للتوسع راجع مجموع الفتاوي الكبرى للإمام ابن تيمية رحمه الله .

فالشكوى إلى الله تعالى لا تنافي الصبر الجميل ، وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه يقرأ في صلاة الفجر ذات يوم قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف : ٨٦] .

فغلب عليه البكاء ، وسمع نشيجه من في آخر الصفوف ، وهذا بخلاف الشكوى إلى المخلوق ، ولابدَّ للإنسان من شيئين :

طاعته بفعل المأمور وترك المحظور ، وصبره على ما يصيبه من القضاء المقدور ، فالأول : هو التقوى ، والثاني : هو الصبر ، وقد جمعت الآية الكريمة ذلك :

﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [آل عمران : ١٨٦] .

وقوله : ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

* * *

بوابة الجَنَّة الصِّدق :

وبوابة جهنَّم الكذب :

حذَّر سيدنا المصطفى من أن يستخدم الإنسان لسانه في الكذب ، لما للكذب من نتائج وخيمة في الدنيا ، وبالتالي فهو أحد بوابات جهنم ، فيقول صلوات الله عليه :

« عليكم بالصدق فإنه من أبواب الجنة ، وإياكم والكذب فإنه باب من أبواب النار » .